DE DEA SYRIA

في الآلهة السورية

نبذة للفقيه والكاتب
لوقيانوس السميساطي

ترجمها إلى العربية
عدنان بن ذريل

تصدير

ان نبذة الفقيه ، والكاتب السوري (لوقيانوس السميساطي ١٢٥ ـ ١٩٠ م) المسماة : ـ في الآلهة السورية ـ ذات شهرة عالمية ، في علم الأديان ، والأساطير ، أو أيضاً علم الآثار ؛ يعتمدها العلماء في هذه العلوم المختلفة لغنى موادها ، ودقة تحديداتها ، وبراءة تقولها ، وصدق أوصافها .

وان الاعجاب والتقدير اللذين يكنهما الدارسون لكتاب (الأصنام) لابن الكلبي ، والذي كشف عن أصنام العرب في الجاهلية ، وعلى الخصوص تلك التي كانت في مكة وحولها ، والتي يذكر أهمها ، في حين الأخرى ضاعت ، مع الأسف ، وامحى ذكرها ؛ هما حقاً في نظرنا ، نفس الاعجاب ، والتقدير اللذان نكنهما لهذه النبذة للفقيه ، والكاتب السوري (لوقيانوس السميساطي) ، الذي يدين هو نفسه بالدين الذي يصف ، وشاهد معظم ما كتب فيه ؛ والتي نشكر الله تعالى أن وصلت الينا سالمة عن طريق الترجمات اللاتينية ، فالفرنسية .

ان مجمع الآلهة ، أو نقل الأصنام أيضاً ، التي تتحدث عنها النبذة متنوعة ، بابلية ، وآشورية ، وسورية وفينيقية ، ومصرية ، وأغريقية ؛ إلا ان الآلهة الكبرى فيها آشورية أغريقية ؛ وهذا دليل على تطور الديانة ؛ في حين تصدق على النبذة ، ما قيل في الديانات السامية عامة ، والسورية خاصة ، من انفتاحها بعضها على بعض ، وتشابه معتقداتها بعضها مع بعض ، وتشابه آلهتها أيضاً بعضها مع بعض ..

أما من حيث الطقوس والشعائر ، التي تصف النبذة ، فالمعلومات عنها هامة ، ونادرة ؛ إذ هي عكست الأصالة السورية في هذه الطقوس ، والشعائر كافة ؛ ورسمت أوصاف احتفالاتها ، وأعيادها المختلفة ؛ دون أن تنسى ذكر العادات الدينية ، والخلقية ، والاجتماعية الأخرى .

لقد اعتمدت في ترجمة هذه النبذة على الترجمة الفرنسية لها ، والتي نجدها في المؤلفات الكاملة للوقيانوس السميساطي ، ترجمة (أميل شابري) ، باريز ، طبعة غارنية (١) . . وآمل أن تتـاح لي فرصة قريبة ، ان شاء الله تعالى ، لشرحها ، وشرح ماورد فيها من أسماء اعلام ، أو أسمـاء أماكن مختلفة ، أو أيضا من معتقدات ، وطقوس ، وشعائر ، وعادات ، وتقاليد (٢) . .

ولا يسعني هنا ، الا أن أنوه بأريحية الأستاذ الدكتور .(سليم عادل عبد الحق) المدير العـام للآثار والمتـاحف السورية ، والمسؤول عن هذه المجلة الزاهرة ، الذي فتح صدره لهذه النبذة ، منذ اللحظة التي أخبرته عنها ، وعن استحصالنا عليها ؛ خاصة وأن النسخ عن مؤلفات لوقيانوس هي نفسها اليوم مفقودة في شرقنا العربي ؛ فسمح لي بترجمتها ، وتكرم بفضله فنشرها ؛ وعسى أن يفيد منها علمـاؤنا ، ودارسونا في استجلاء تراثنا السوري الفكري ، والديني ، والفني ، وشكراً .

دمشق : عدنان بن ذُريل

(١) Lucien de Samosate, Oeuvres Complètes, T. 3, P. 356 - 379 Traduction d'Emile Chambry - Librairie Garnier, Paris .

(٢) ارتأيت تسهيلاً للترجمة وموضوع النبذة ، وضع عناوين لكل فقرة من الفقرات .

Opuscule de Lucien de Samosate : « De la déesse Syrienne »

نبذة لوقيانوس السميساطي

في الالهة السورية

هيرابوليس ، أو المدينة المقدسة

١ — توجد في سورية ، ليس بعيداً من الفرات ، مدينة يسمونها المقدسة (هييرا بوليس ، و المدينة المقدسة) ؛ انها ، في الواقع مخصصة لـ(هيرا) Héra الآشورية ؛ ولكني أعتقد ن هذا الاسم لا يرجع تاريخه إلى تأسيس المدينة ، وأن المدينة قديماً كان لها اسم آخر ، أنها اكتسبت هذه التسمية ، في الوقت الذي ازدهر فيه الدين في المدينة . وانه عن هذه مدينة ، وما هي تحويه ، ما أنوي أن أتكلم ؛ وسأتحدث عن الشعائر التي نلاحظها في ديانتها الجمعيات التي تنعقد فيها ، والأضاحي التي تقدم . وسأتحدث أيضاً عن كل ما يروى عن ؤسسي ديانتها ، وكيف أنشيء معبدها ، وأنا نفسي الذي يكتب هذا الكتاب ، اني آشوري ، قد رأيت بأم عيني جزءاً مما أرويه ، في حين أن الباقي ، أي ما هو سابق على عصري ، أنا أنقله كما أخبرني به الكهنة .

المصريون أول من نظم ديانة

٢ — المصريون ، بين جميع الشعوب التي نعرفها ، هم ، كما يقال ، الأوائل الذين تمثلوا وجود الآلهة ، ونذروا لها ديانة ، وحلقات مقدسة ، وجمعوا من أجل ذلك الجمعيات الرسمية الفخمة . وهم أيضاً الأوائل الذين عرفوا حدود الشرع ، والتعابير القدسية ، ورووا أساطير الآلهة . وقد أسس الآشوريون ، بعد مدة وجيزة ، ديانة لأنفسهم ، بعد تنورهم على مذهب المصريين الديني ، وابتنوا المعابد ، حيث وضعوا التماثيل ، وأقاموا الصور المنحوتة .

التماثيل في المعابد

٣ — وقديماً ، حتى عند المصريين ، لم يكن ثمة تماثيل في المعابد . وتوجد في سورية معابد

ترجع إلى نفس الفترة التي ترجع اليها المعابد المصرية . وقد رأيت أنا نفسي معظمها ، وعلى الخصوص منها معبد هيراقليس Héraclés في صور ؛ وهو غير هيراقليس الذي يمجده اليونان ، ان الذي أتحدث عنه أقدم بكثير ، وهو بطل صوري .

معبـد عشتار

٤ — وانا نجد في فينيقية أيضاً ، معبداً كبيراً آخر ، يخص الصيداويين ؛ انه حسب رأيهم ، يخص (عشتار Astarté) ؛ وفي نظري عشتار هذه هي سيلينه Séléné الا أن هذا المعبد ، حسب ماقال لي أحد الكهنة مخصص لـ (اوروبة Europé) ، أخت قدموس Cadmos ، وبنت الملك أجنور Agénor ؛ فقد بنى الفينيقيون ، عند اختفائها ، معبداً لها ، وحاكوا حولها هذه الاسطورة المقدسة ، من أن زيوس Zeus ، وقد أثاره جمالها ، تبدل الى شكل ثور ، فحملها ، ونقلها الى كريت Créte . وقد سمعت نفس القصة عنها في جميع فينيقية . وتمثل العملة المستعملة في صيدا (اوروبة) جالسة على ثور ، وهو زيوس ، في حين من غير الملائم أبداً أن يكون المعبد مخصصاً لاوروبة .

ديانة مصرية أخرى

٥ — وللفينيقيين أيضاً ديانة أخرى ، وهي ليست ديانة آشورية ، ولكن ديانة مصرية ، كانت نقلت من هيليوبوليس Héliopolis إلى فينيقية . ولم أر المعبد الذي تقام فيه شعائر هذه الديانة ، الا أنه هام ، هو الآخر ، وقديم .

معبد لأفروديت الجبيلية — طقوس الحداد على أدونيس

٦ — وقد رأيت أيضاً في (جبيل) Byblos ، معبداً كبيراً لأفروديت Aphrodite الجبيلية ؛ حيث تولم الولائم الفخمة Orgies على شرف (أدونيس) Adonis ، وقد سألت عن هذه الأعياد ، وعلمت أن سكان جبيل يقولون ، ان قصة (أدونيس) ، وجرح الخنزير الوحشي له : قد تسلسلت في بلادهم ، وأنهم ، في كل عام ، كذكرى لهذه الحادثة ، يضربون صدورهم ، وينتحبون ، ويولمون الولائم الباذخة ، ويقيمون حداداً كبيراً في كل المنطقة . وعندما يكونون ضربوا صدورهم جيداً ، وانتحبوا جيداً ، يقدمون أضحية لأدونيس كما أنها كانت تقدم لميت ؛ إلا أنهم في اليوم التالي يعلنون أن (أدونيس) حي ، ثم يرسلونه

يسكن في السماء ؛ وآنئذ يحلقون رؤوسهم مثل المصريين ، عند حدادهم لموت (آبيس) Apis . والنساء اللواتي لايحلقن شعورهن يجازين بالطريقة التالية : بوضع جمالهن في البيع طيلة يوم ؛ إلا أن السوق لاتفتح إلا للأجانب ؛ وأثمانها تؤخذ هبات لأفروديت .

أوزيريس يدفن في جبيل — أعجوبة الرأس الجبيلية

٧ — ويوجد جبيليون يزعمون أن (اوزيريس) المصري قد دفن عندهم ، وأن هذا الحداد ، وتلك الولائم العامرة لاتقام على شرف (أدونيس) ؛ وإنما جميع هذه الاحتفالات تؤدى على شرف (اوزيريس) Osiris . وأريد أن أذكر من أين جاءهم هذا الاعتقاد . انه ، في كل عام ، تأتي من مصر إلى جبيل رأس تسبح على الأمواج ، تقطع المسافة إلى هناك بسبعة أيام ، وتدفعها الرياح بفعل قوة علوية ؛ انها لاتحيد عن وجهتها إلى جهة أخرى ، وإنما ترمي دائماً في جبيل . معجزة حقيقية تتجدد كل عام ؛ وقد حدثت عندما كنت في جبيل ؛ وقد رأيت هذه الرأس الجبيلية .

نهر أدونيس — وتربة لبنان القانية

٨ — وتوجد في (جبيل) أعجوبة أخرى ؛ وهي نهر ينحدر من جبل لبنان ، ويصب في البحر ؛ وقد أطلق عليه اسم (أدونيس) ، إن مياهه ، كل عام ، تصبح حمراء بلون الدم ، فيتبدل لونه ، وعندما يصل إلى البحر يصبغ بلونه مياه البحر إلى مسافة بعيدة واسعة هذه الظاهرة بالنسبة لأهالي جبيل هي الاشارة ببدء الحداد . وتقول الاسطورة ، انه في هذه الأيام جرح (أدونيس) في لبنان ، وأن دمه الذي يجري في النهر يبدل لون الماء فيه ، وأنه هو الذي أكسب النهر اسمه الثاني ؛ تلك هي الرواية الشعبية في ذلك ، الا أن رجلاً من البلد ، بدا لي في ذلك أنه يقول الحقيقة ، قدم لي تفسيراً آخر للظاهرة ؛ وهذا ماقاله لي : ان نهر (أدونيس) نهر أجنبي ، ويمر في لبنان ، الا أن في لبنان أراضي ذات تربة حمراء ، قانية ، وإن رياحاً عاتية تهب في تلك الأيام تدفع إلى النهر هذه التربة المحملة بالحمرة وأنها هي التي تكسب النهر ذلك اللون الأحمر . وليس الدم إذن ، كما يقولون ، وانما طبيعة الأرض هي سبب هذه الظاهرة ؛ هذا هو التفسير الذي قدمه لي ذلك الرجل من جبيل . وإذا كان ماقاله صادقاً ، فإن اتفاق هبوب الرياح (مع الحداد) يبدو لي هو نفسه خارقاً ، فوق الطبيعة . .

معبد لأفروديت في لبنان

٩ — وقد صعدت من جبيل الى لبنان مسافة يوم من المسير ؛ وكنت أعرف أنه يوجد هناك معبد قديم لأفروديت ، أسسه (كينيراس) Kinyras ؛ وقد شاهدته ؛ انه بالفعل قديم . . وتلك هي المعابد الكبيرة ، والقديمة الموجودة في سورية .

معبد المدينة المقدسة — نفائسه

١٠ — وبين جميع هذه المعابد السورية ، أعتقد ، أنه لا يوجد معبد أكبر من معبد المدينة المقدسة . فليس هناك حرم أكثر عظمة ، وأبهة من حرمه ، ولا موضع أكثر قداسة من موضعه .. وان الانسان ليشاهد في هذا المعبد أيضاً صنائع ذات قيمة عالية ، وهبات قديمة ، ومجموعة أشياء مدهشة ، وتماثيل جديرة بالآلهة ، وآلهة تدلل على حضورها ؛ وذلك أن التماثيل هنا تندى عرقاً ، وتتحرك ، وتتكلم ؛ وعندما يغلق المعبد ، يسمع صوت من داخله على الغالب ، وكثير من الناس سمعوا ذلك الصوت ؛ وأضيف انه من جهة غناه ، انه في طليعة المعابد التي عرفتها ؛ فهو يتلقى بالفعل أموالاً كثيرة من البلاد العربية ، وفينيقية ، وبابل وأيضاً من كابادوكية Cappadoce ؛ والأدناويون Ciliciens ، والآشوريون أيضاً يأتون اليه بحصتهم من الضرائب له . وقد رأيت أيضاً الكنز المقدس للمعبد ، انه يحوي على عدد من الأقمشة ، وأدوات من فضة ، وذهب ، مرتبة كل منها في مكان ؛ وبالنسبة للأعياد ، الاجتماعات الرسمية ، السنوية ، فانه لم يقم قط مثلها ، ولا بعدتها ، عند أي شعب آخر .

عمر المعبد — آلهته

١١ — وكما أني كنت استفسر عن عمر المعبد ، كم يمكن أن يكون ، ولأية آلهة يعتقد انه مخصص ؛ فقد أجابوني اجابات مختلفة ، بعضها معترف به ، وبعضها الآخر دنس ، والبعض الآخر اسطوري في مجموعه ، وآخر منها بربري ، وآخر أيضاً موافق لآراء الاغريق . وسأوردها كلها ، دون أن أتبنى واحدة منها .

رواية الإغريق عن نوح — الطوفان الكبير

١٢ — الأغلبية تقول ان مؤسس المعبد هو (ديكاليون) الشيث ، الذي حصل في عهده الطوفان الكبير . وقد سمعت الإغريق يتحدثون عن (ديكاليون) Deucalion . وهذه هي

تقريباً روايتهم عنه . ان الجنس البشري الذي يعيش اليوم لم يكن الجنس الأول . ان الخليقة الأولى قد فنيت تماماً كلها . والذين يعيشون حالياً هم من الخليقة الثانية ، وهي التي انحدرت من ديكاليون ، وتناسلت ، وتعددت أفرادهـــا فيما بعد . وهذا ما يروون في موضوع الخليقة الأولى . أنهم لما كانوا جد قساة ، يقترفون الجرائم ، ولا يتقيدون بشعائرهم الدينية ، ولا يتلقون الغرباء ، كما يردون المستجيرين ، فقد جوزوا بحادثة مروعة . الأرض نفثت من جوفها كمية كبيرة من الماء ، كما هطلت معها أمطار غزيرة ، تضخمت الأنهار لها في مجاريها ، وارتفع البحر عالياً في الأراضي لدرجة أن الماء غمر كل مكان . ففنيت الناس جميعهـا ، ولم يبق منها الا واحد هو ديكاليون ، الذي أنقذ بسبب حكمته ، وتقواه ، ليعطي سلالة ثانية ؛ واليكم كيف أنقذ . . لقد ركب سفينة كبيرة كان يملكها ، بعد أن أركب فيها اولاده ، وزوجه وعند ما صعد الى السفينة رأى خنـــازير وحشية ، وخيولاً ، وأنواعاً مختلفة من الأسود ، وزواحف ، وحيوانات أخرى ، كانت تعيش على الأرض ، تقبل نحوه ، ويتقدم اليه زوجان اثنان من كل نوع منها . وقد استقبلها كلها ، ولم تحدث له أي أذى ؛ على العكس ، لقد جمعهم بعضهم مع بعض ، بارادة زيوس ، في صداقة تامة ، وظلوا جميعاً يسبحون في السفينة نفسها ما دامت المياه تغمر الأرض . هذا ما يقصه الأغريق في موضوع ديكاليون .

فوجة ضخمة تبتلع الماء ـــ بناء المعبد عليها ـــ الطقوس حولها

٣ ـــ أما بالنسبة لما حصل بعد ذلك ، فان سكان المدينة المقدسة ، ينقلون حادثة من أكثر الحوادث أثارة للدهشة ؛ وهي أنه ظهرت ، في مدينتهم ، كما يقولون ، فوهـة ، أو فرجة ، في الأرض ضخمة ، امتصت كل الماء ؛ وقد أقام ديكاليون أثر هذه المعجزة المذابح والهيـاكل ، وابتنى على الفرجة معبداً كرسه لـ (هيرا) ؛ وقد رأيت ، أنا نفسي ، هذه الفرجة ، انها تحت المعبد ، وجد ضيقة . . هل كانت الفرجة واسعة فيما مضى ؟ وهل الزمن هو الذي ضيقها ، وجعلها على ما هي عليها اليوم ؟ اني أجهل ذلك ! . . كما شاهدتها ، كانت ضيقة ؛ والناس هناك الى الآن ، يقومون بطقوس تذكر بهذه الحادثة . فمرتين في العام ، يأتون الى المعبد بماء البحر ؛ وليس الكهنة وحدهم هم الذين يجلبون الماء الى المعبد ؛ ان سورية كلها ، والبلاد العربية ، وعدداً كبيراً من القاطنين وراء الفرات ، يأتون البحر أيضاً ، ليجلبوا الماء أنهم يصبون الماء أولاً في المعبد ، ومن ثم هو تنحدر الى الفرجة ، التي رغم صغرها ، تمتص

كمية كبيرة منه ؟ وهم إذ يفعلون ذلك ، فلأن (ديكاليون) ، كما يقولون ، قد سنه قانوناً لهذا المعبد ، ليخلد ذكرى شقاء الإنسان ، وجميل الآلهة نحوه . ذلك هو الموروث القديم عندهم في موضوع المعبد .

سميراميس تخصصه لأمها ديركيتو

١٤ — وحسب غيرهم ، كانت (سميراميس) ، ملكة بابل ، والتي يرجع اليها الفضل في تشييد عدد كبير من الأبنية في آسيا ، هي التي بنت هذا المعبد ، وخصصته ، ليس ل (هيرا) ، ولكن لإمها المسماة (ديركيتو) Derkéto . وقد رأيت أنا نفسي ، في فينيقية تمثيلاً ل (ديركيتو) ؛ انه صورة فريدة ؛ انه امرأة بنصف جسدها فقط ، في حين أن القسم الذي يذهب من الفخذين الى الأسفل ، فيمتد على شكل ذيل سمكة ؛ بينما التمثال الذي نراه في (هيرابوليس) هو : امرأة من رأسها الى قدميها . الا أن الأدلة التي يقيمون عليها هذا المعتقد ليست واضحة . انهم يعتبرون السمك مقدساً ، ولا يمسونه بأي أذى ؛ انهم يأكلون جميع أنواع الطيور ، باستثناء الحمام ، الذي هو بالنسبة اليهم مقدس ؛ انهم يعتقدون أنهم بذلك يمجدون (ديركيتو) ، و (سميراميس) .. الأولى ، لأن لها شكل سمكة ؛ والثانية لأنها عندما ماتت تحولت إلى حمامة . وبالنسبة الى أن يكون المعبد من بناء سميراميس ، فربما أمكنني تصديق ذلك ؛ واما أن يكون مخصصاً لديركيتو ، فذلك ما أرفض تصديقه ، وحجتي في ذلك أن بين المصريين من لا يأكل السمك ؛ وأنهم لا يفعلون ذلك من أجل أن يرضوا ديركيتو .

رواية عن رحيا ، الخصاء

١٥ — هنالك أيضاً رواية متوارثة سمعتها من رجل عالم ؛ وهي أن الآلهة هي (رحيا) Rhéa ؛ وان المعبد من بناء (أتيس) Attés ، وكان (أتيس) ليدياً ، وهو أول من نشر تعاليم (رحيا) السرية ، وهي التعاليم التي يعتنقها الفريجيون ، والليديون ، والسمطراثيون ، وكان أظهرها لهم أتيس . وذلك ان رحيا عندما خصته ، لم يعد يتبع نظام الذكور ، واتخذ مظهر امرأة وتزيى بثياب امرأة ، وطاف في كل الأرض ، يحتفل باقامة الولائم العامرة ، ويقص قصة مغامرته ، ويغني لرحيا . وقد أوصلته رحلاته الى هنا حتى سورية ؛ ولكن كما ان الشعوب التي تسكن على الضفة الثانية من نهر الفرات ، لم تستقبله ، ولم تحفل بتعاليمه ، فقد اسس في هذا

البلد معبداً، والدليل ان الإلهة شديدة الشبه برحيا ؛ فهي تجرها الأسود، وتحمل طبلاً صغيراً مستطيلاً ، ولها هالة فوق رأسها ؛ وهكذا يمثل الليديون رحيا . قال لي عالمي أيضاً ، وهو يتحدث عن المخصيين من القسس الذين يخدمون المعبد ، أن هؤلاء لا يخصون أنفسهم على شرف (هيرا) ولكن (رحيا) ، ليقلدوا (أتيس) ؛ ويبدو رأيه لي مغالطة جميلة ، الا أنه ضد الحقيقة ؛ لأني أعرف عن عملهم سبباً ، هو أهل للإيمان اكثر من هذا السبب .

رواية عن بناء ديونيسيوس له – الأعمدة ، والعرائس الخشبية فيه

١٦ – وهناك رأي يعجبني ، لأنه مطابق في كثير من الوجوه لرأي الإغريق ؛ وهو رأي الذين يعتقدون ان الإلاهة فيه هي (هيرا) . وان المعبد من بناء (ديونيسوس) Dionysos بن سميلة . وذلك أن (ديونيسوس) قدم الى سورية من الطريق التي قادته الى بلاد الحبشة ؛ وفي المعبد أشياء عديدة تثبت أن مؤسسه هو ديونيسوس ؛ من بينهن ثياب بدائية بربرية ، وحجارة كريمة من الهند ، وأنياب فيلة أحضرها ديونيسوس من بلاد الحبشة ، وأيضاً العمودان الضخمان ، اللذان ينتصبان في الدهليز ، واللذان نقشت عليهما هذه الكتابة : – هذان العمودان ، مما أنا ديونيسيوس ، الذي خصصهما لشرف هيرا ، زوجة والده – وبالنسبة لي أن هذه الأدلة كافية ؛ ولكن ، لأذكر أيضاً شيئاً آخر في هذا المعبد يتعلق ببداية (ديونيسوس) . أن الإغريق يرفعون لهذا الإله أعمدة ، يضعون عليها تماثيل الأقزام الخشبية ولها عضو كبير ، أو أكثر ، ويسمونها العرائس ؛ اننا نجد هذا في المعبد ؛ كما نجد في الجهة اليمنى فيه تمثالاً معدنياً لرجل جالس ، له عضو عظيم ، ضخم .

بناء المعبد – البناء الحالي من صنيع ستراتونيس

١٧ – تلك هي الروايات المختلفة التي تورد في موضوع مؤسسي هذا المعبد ؛ والآن أريد أن أتكلم عن بنائه ؛ فأذكر كيف بني ، ومن الذي بناه ؛ يزعمون أن البناء الحالي ليس هو البناء الذي رفع في الأول ؛ وأن هذا البناء الأول قد هدم بفعل الزمن ، وان الذي يوجد حالياً من صنيع (ستراتونيس) Stratonice ، زوجة ملك آشور ؛ وستراتونيس هذه تبدو لي أنها تلك التي عشقها ابن زوجها ، ثم اكتشف الطبيب حب ابن زوجها لها بمهارته . يروى أنه عندما استولى هذا الهوى التعيس على الشاب ، وقع مريضاً ، وأغلق نفسه في السكوت ، دون

أن يعرف ماذا يفعل بألم يخجله ، ومكث ينام دون أن يشعر بأي ألم ؛ الا ان لونه تبدد تماماً ، وصار جسمه يذبل من يوم إلى آخر ؛ وعندما لم يجد الطبيب أي سبب ظاهر لألمه ، حذر من أن مرضه هو الحب ؛ ان الحب المخبأ يكشف من عدة اشارات . تهدل العيون ، الصوت ، اللون ، الدموع ؛ وهذا ما فعله الطبيب بعد أن تنور بهذه الإشارات . فقد وضع يده على قلب الفتى ، ودعا جميع سكان المنزل ، فدخلوا جميعهم الى غرفة المريض ، الذي ظل محتفظاً بهدوئه التام ؛ الا أنه عند قدوم زوجة أبيه ، تبدل لونه ، وصار العرق يتصبب منه ، وأخذته هزة ، وصار قلبه يقفز ، فرأى الطبيب بسهولة لهذه الاشارات ما هو موضوع هواه .

دواء حب ـ الأب يتنازل لولده عن زوجته ومملكته

١٨ ـ واليكم كيف وصف له الدواء . انه أحضر والد الشاب ، الذي كان يرتجف خشية على ابنه ، وقال له : ـ ان هذا المرض الذي أهلك هذا الولد ليس مرضاً ، ولكنه هوى أثيم . ان الولد لا يحس بأي ألم ، ولكنه فريسة الحب ، والفكر الضائع ؛ انه يرغب في أشياء لن ينالها قط ؛ انه يعشق ، ويعشق زوجتي ، ولن أتخلى له عنها ـ . هذه الأقوال لم تكن إلا كذباً بارعاً ؛ وآنئذ ترجاه الوالد : ـ باسم العلم والطب ، لا تدع ولدي يهلك ؛ انه رغماً عنه ، دخل هذا الهوى قلبه ؛ ان مرضه لا إرادي ، فلا تغرق إذن بغيرتك المملكة كلها بالحزن ، والحداد ؛ أيها الطبيب لا تثر غضبي على الطب . ـ على تلك الصورة ترجاه دون أن يفطن الى حيلته ؛ فأجابه الطبيب : ـ ان تأكيدك غير عادل ؛ انك تريد أن تأخذ مني زوجتي ، وترتكب عملاً عنيفاً ضد طبيب ؛ ولكن أنت نفسك ، الذي تطلب مني تضحية من هذا النوع ، ماذا تفعل اذا كانت زوجتـــك هي التي يرغب فيها . ـ فأجاب الأب بأنه لن يؤثر زوجته على ولده ، أو يرفض أن ينقذ حياة ولده ، حتى لو أحب زوجة أبيه ؟ ذلك ان فقدان زوجة لا يقاس بفقدان الولد . وما كاد الطبيب يسمع هذه الأقوال حتى صاح : ـ لا فائدة من أن تترجاني ؛ لأن زوجتك هي التي يرغب فيها ؛ وان ما قلته لك لم يكن إلا كذباً . ـ فترك الملك نفسه يقتنع لهذا الحديث ، وتخلى لولده عن زوجته ، ومملكته ، وانسحب الى بلاد بابل ، وابتنى لنفسه ، على ضفة الفرات ، مدينة سماها باسمه ، أنهى حياته فيها . وكذلك اكتشف الطبيب حب الأمير الشاب ، وداواه .

رؤيا ستراتونيس ، ومرضها – سفرها لبناء المعبد

١٩ – كانت (ستراتونيس) ما تزال تعيش مع زوجها الأول ، عندما رأت في نومها رؤيا ، تأمرها (هيرا) فيها أن تبنى لها معبداً في المدينه المقدسة ، وتهددها بآلاف الامراض اذا هي عصت أمرها . لم تعر ستراتونيس في بادىء الأمر ، أي اهتمام للرؤيا ، والطلب ؛ ولكنها فيما بعد ، عندما أصيبت بمرض شديد ، قصت قصة رؤياها على زوجها ، وجربت أن تسترضي (هيرا) ونذرت أن ترفع لها المعبد الذي تطلب . ومنذ أن استعادت صحتها ارسلها زوجها الى المدينة المقدسة ، وأعطاها نقوداً ، وسير معها كوكبة كبيرة من الجيش ، بعضها يعمل في البناء ، والبعض الآخر يسهر على أمن الملكة . وفي الوقت نفسه أحضر الملك أحد أصدقائه ، وهو شاب ذو جمال نادر ، اسمه (كومبابوس Combabos) ، وقال له : – اني أحبك أكثر من أي صديق من أصدقائي ، لمزاياك الممتازة ، ولا يمكنني أن أمدح كثيراً حكمتك ، واخلاصك اللذين تظهرهما نحوي ؛ اني اليوم بحاجة لرجل مخلص ؛ وأريدك أنت أن تصحب زوجتي في سفرتها ، وتؤمن طلباتها بدلاً عني ، وتقوم بتقديم الأضاحي ، وتقود الجيش ، وعند عودتك يمكنك أن تحصل على جائزة كبرى مني . – وعندما سمع كومبابوس هذه الكلمات راح يترجى الملك ، ويلح عليه بالرجاء أن لا يفرض عليه هذه السفرة ، وأن لا يوكل اليه أمر مهمة أكبر بكثير من مقامه ، بعهدته اليه بأمواله ، وزوجته ، ومهمة مقدسة . لقد كان يخشى أن يحس الملك في المستقبل بالغيرة منه ، في موضوع ستراتونيس ، التي سيقودها وحده

كومبابوس يخصي نفسه ؛ ثم يسافر

٢٠ – وكما أن الملك كان لا يريد أن يستمع الى شيء ، فقد رجاه أيضاً رجاء آخر ، وأعطاه فرصة سبعة أيام لينجزه له ، وهو في مهمة ، هي بصورة خاصة ، عاجلة ، عليه أن ينهيها قبل ذهابه . فحصل على ذلك بسهولة ؛ وعاد كومبابوس أثرها الى الملك ، وترك نفسه يقع على الأرض ، وأخذ ينتحب ، قائلاً : – ما أتعسني هذا ما قادني اليه وفائي ، ماذا يمكنني أن أنتظر من هذه السفرة التي أتنبأ من الآن بأمر مخرجها ؛ ! شاب في مثل شبابي ، يرافق امرأة بمثل جمال الملكة ؛ يجب أن أتوقع شقاء كبيراً ، اذا أنا لم أتخلص من كل ما يمكن أن يسببه لي ؛ وأيضاً الا يجب علي أن أصير الى تضحية كبيرة تشفيني من كل خوف ؟ . – لهذه الكلمات خصى نفسه ، ووضع أعضاءه المقطوعة في وعاء صغير مع الأصماغ ، والعسل ،

والحشائش العطرة الأخرى ؛ ثم ختم الوعاء بخاتمه ، وضمد جراحه ؛ عندما أوشك على السفر ، زار الملك ، وبحضور عدد كبير من الشهود ، أعطاه الوعاء ، وقال له : — أيها السيد ، هذا كنز كبير ، كنت أخفيه في بيتي ، وأنا متعلق به كل التعلق ؛ والآن وأنا أريد أن أذهب في سفرة طويلة ، أضعه بين يديك لتحفظه لي في مكان آمن ؛ لأنه أغلى عندي من الذهب ، وأعتبره يساوي حياتي ؛ أعمل على أن أجده عند عودتي لم يمسسه أحد . — فأخذ الملك الوعاء ، وبعد أن علّم عليه بخاتمه ، أوكل حراسته لبعض رجال أعماله .

تعلق ستراتونيس به — قيل ، انتقام من هيرا

٢١ — في بادىء الأمر ، قاد (كومبابوس) أمر رحلته بكل أمان ؛ وعندما وصل الركب إلى المدينة المقدسة شرع الموفدون بحرارة يبنون في المعبد ؛ ومرت ثلاث سنوات على ذلك ؛ في تلك الأثناء تحقق ما كان كومبابوس حدسه ؛ فإن (ستراتونيس) التي كانت تمضي ساعات طويلة في رفقته تولعت به ، ثم أحبته حباً عنيفاً ؛ ويدعي سكان المدينة المقدسة أن ذلك نتيجة إرادة (هيرا) ، التي رغم معرفتها الجيدة بحقيقة كومبابوس ، إلا أنها كانت تريد أن تنتقم من ستراتونيس ، التي لم تنصع لأمرها بسهولة ، وتبني المعبد الذي طلبته .

السكر والصراحة — اطلاع ستراتونيس على حقيقة حال كومبابوس

٢٢ — التزمت الملكة ، في البداية ، حدود التواضع ، وأخفت ألمها ؛ إلا أنها عندما اشتد عليها الألم ، حتى غدت لا تستطيع السكوت عليه ، تركت لنفسها أن تظهر الحزن ، الذي كان يملكها ؛ لقد كانت تبكي في ملء النهار ، وتطلب كومبابوس ، في حين كان كومبابوس كله لها . وفي النهاية ، وبعد أن رأت أن لا مخرج من شقائها ، بحثت عن وسيلة مشروعة تجتمع فيها بمن تحب . وكما أنها كانت تريد أن لا تبوح بحبها لأحد ، وكانت تخجل أيضاً أن تفاتح كومبابوس بحبها هي الأولى ، توقفت عند فكرة طرأت لها ، وهي أن تسكر قبل أن تفاتحه بالأمر ؛ لأنه عندما يدخل الخمر إلى مكان ما ، تدخل الصراحة معه ، وأي رفض آنئذ لا يكون معيباً ، لأن كل ما نفعله يكون محسوباً على اللاوعي . قررت ذلك ، وفعلته . فقد عادت بعد الغداء إلى الغرفة التي يقضي فيها كومبابوس ليلته ، وترجته ، وقبلت له ركبتيه ، وباحت له بحبها ؛ فتلقى هذا البوح بقسوة ، ورفض عطاياها له ، ولامها على

ـكرها ؛ ولكن كما أنها كانت تهدده بأن تلجأ إلى أعمال متطرفة محزنة ، ضد نفسها ، فقد خاف ، وكشف لها عن كل شيء ، وقص عليها كل ما كان فعل بنفسه ، وأراها البرهان . فهدأت لهذا المنظر المفـاجىء من روعه ، ولم تنس حبه ؛ فقد كانت تمضي على العكس كل أوقاتها معه ، وتتعزى بذلك عن هواها غير المشبع ؛ وتوجد علاقات حب من هذا النوع ، في المدينة المقدسة ، واننا نرى مثلهـا في يومنا هذا ؛ فهناك نساء يتعلقن بحب خصيان ؛ والخصيان يجنون بنساء ، ولا أحد يحسد أحداً على شيء ؛ بل ينظر إلى هذه العلاقـات على أنها مقدسة تماماً .

المخبرون يعلمون الملك بذلك ـ استدعاؤه كومبابوس

٢٣ ـ إن ما كان يجري في (هييرابوليس) بين ستراتونيس ، وكومبابوس ، لم يظل طويلا مجهولاً من الملك ؛ فإن جمهرة من الدساسين الحسيدين ، وصلوا من آشور ، كانوا يفشون أمر حبهما ، ويقصون كل ما كان يحدث بينهما ؛ فاستدعى الملك الذي آلمه حنقه لذلك ، كومبابوس دون أن ينتظر إتمام العمل ؛ وبعضهم يزعم وهذا خطأ ، ان ستراتونيس عندما رأت توجياتها قد رفضت كتبت هي نفسها لزوجها تتهم كومبابوس بأنه حاول أن يمس طهرهـا . وان ما يرويه الاغريق عن (ستينيبواءة Sténéboia) ، وفيدروس من كنوسوس ، يرويه الآشوريون عن ستراتونيس ، وبالنسبة إلي إني أعتقد أنه لا ستينيبواءة ، ولا فيدروس كانتا فعلتا بما يشبه هؤلاء ، إذا كان صحيحاً أن فيدروس أحبت بصدق هيبوليت ، ولكن لندع هذه الأشياء لما هي عليه .

تجريم كومبابوس والحكم عليه بالموت

٢٤ ـ عندما وصلت البعثة إلى (هييرابوليس) ، علم كومبابوس بأمر استدعـائه ، رجع وكله ثقة ؛ لأنه ترك عند الملك ما يمكن أن ينصفه ؛ ولم يكد يصل هناك حتى ألقـاه الملك في أغلال الحديد ، ووضعه تحت حراسة شديدة ؛ ثم قـاده ، بحضور الأصدقاء أنفسهم الذين كانوا وجدوا قربه عندما أرسل إلى هييرابوليس ، قاده إلى وسط الغرفة ، وبدأ يتهمه بالزنا ، ويلومه على دناسته ؛ ثم اخذه الغضب ، وذكره بالثقة ، والصداقة ، اللتين كانتـا تشرفانه ؛ وهكذا اتهمه بثلاث جرائم : الزنا ، واستغلال الثقة ، وعدم التقوى تجاه الآلهة ، التي آلمها

بسلوكه مثل هذا السلوك ، في الوقت الذي كان يعمل في بناء المعبد . وأكد عدد من الشهود أنهم رأوا الحبيبين يعلنان أمر علاقتهما ؛ فقرروا جميعهم أن كومبابوس يجب أن يقاد في الحال إلى الموت ، لأنه ارتكب جرائم تستحق كلها الموت .

كومبابوس يطلع الملك على حاله ــ ويدلل على ذلك بما أودعه عنده في الوعاء

٢٥ ــ إلى هنا ، والشاب واقف ، لا ينبس ببنت شفة ؛ ولكن كما أنهم كانوا يتهيأون ليقودوه إلى الموت ، فقد نزع الصمت ، وطلب وعاءه ؛ وأضاف أنه إذا كان يحكم عليه بالموت فليس من أجل أي أذى ، أو أي زنا ، ولكن لأن الملك يريد أن يستولي على ما كان أودعه عنده قبل سفره إلى المدينة المقدسة . فاستدعى الملك لهذه الكلمات رجل خزنته ، وطلب إليه أن يحضر الوعاء ، الذي وضعه في حراسته ؛ وعندما استحضر الوعاء كسر كومبابوس الختم عنه ، وأطلع الملك على ما يحويه ، كما أطلعه على أثر الخصاء الذي أحدثه لنفسه ، وقال : ــ أيها الملك ، لأنني خشيت ما يحدث لي اليوم ، من أنني ذهبت غصباً عني ، في الزمن الذي أرسلتني إلى هناك ، ولأنه عندما ألزمنى أمرك إلزاماً مطلقاً بالذهاب ، صممت أن أقوم بهذا الخصاء ، المفيد لسيدي ، والمحزن لي ؛ وأنا ما أنا ، ما زلت متهماً بجرم لا يمكن أن يقترفه رجل كامل ــ فأخذت الدهشة الملك ، وعانق صديقه ، وقال له باكياً : ــ يا كومبابوس ، أي أذى تسببت لنفسك ! . لماذا عاملت نفسك ، وحدك دون جميع الرجال ، هذه المعاملة المشينة ، غير اللائقة ؛ إني لا يمكنني قط أن اوافقك على فعلتك أيها الشقي ، وأرجو الآلهة أن لا تكون تألمت ، وان لا ارى في حياتي مثيلاً لهذه الفعلة ! لم اكن بحاجة إلى هذا الظلم ، تظلم به نفسك ؛ ولكن ما دام إله أراد ذلك ، فأريد ان انتقم لك اولاً من المخبرين ، الوشاة عليك ، وسوف تتلقى فيما بعد ، عطاياي الكثيرة ، وذهباً كثيراً ، وفضة كثيرة ايضاً ، وثياباً آشورية ، وخيولاً ، واسطبلات ملكية ، وسوف تدخل علي دون استئذان ، او اعلام ، ولا احد يمنعك من ان تراني ، حتى اذا كنت اضاجع احدى نسائي . هذا ما قاله الملك ، وقد اوفى بما وعد ؛ وفي الحال سيق الوشاة الى الموت ، وغمر صديقه بعطاياه ، ورأى نمو صداقته ؛ ولا احد بين الآشوريين ، كان شبيهاً بكومبابوس حكمة ، او سعادة .

تمثال كومبابوس في المعبد بوجه امرأة ، وثياب رجل

٢٦ – وقد طلب ، اثر ذلك ، ان يسمح له ان ينهي ما تبقى من بناء المعبد ، الذي تركه ناقصاً ؛ فأرسل الى هناك مرة ثانية فأنهى البناء ، واستقر منذ ذلك الوقت في البلد ؛ وقد اذن له الملك ، من اجل تمجيد فضيلته ، وكرمه ، ان يقيم لنفسه تمثالاً معدنياً في المعبد ؛ وقد اقيم بالفعل تمثال معدني على شرفه ، وهو من صنع الرودسي (هيرموكليس) ؛ وهو بوجه امرأة ، ولكنه يرتدي ثياب رجل ؛ وينقلون ان اخلص اصدقائه كي يعزوه في مصابه ، ارادوا ان يتقاسموا معه المصاب ؛ فأخصوا انفسهم ، وجروا نفس الحياة مثله ؛ وعزا آخرون فعلتهم لتدخل إلهي ، ويقولون إن (هيرا) ، عن صداقة لكومبابوس ، أوحت الى كثيرين بفكرة الخصاء ، كي لا يكون وحيداً يتحسر على فقدان رجولته .

تقليد الخصاء قائم — قصة عن ارتداء الثياب النسائية

٢٧ — هذا التقليد مرة أدخل ، دام حتى يومنا هذا ؛ ففي كل عام يخصي عدد كبير من الرجال أنفسهم في المعبد ، ويتخلون عن رجولتهم ؛ أما ليعزوا كومبابوس ، أو ليرضوا (هيرا) ؛ وعندما يخصون ينتهون من ارتداء ، ملابس الرجال ، ويتخذون ثياب النساء ، ويقومون بأعمال المرأة ؛ وحسب ماسمعتهم يتحدثون ، أنه لكومبابوس أيضاً ، مايرجع هذا التبديل في ارتداء الملابس ؛ وذلك اثر مغامرة هي هذه : مرة قدمت امرأة غريبة على حفلة رسمية ، فخمة ، فرأت (كومبابوس) بثياب رجل ؛ وعندما رأته على تلك الدرجة من الجمال ، أحست نحوه بحب شديد ؛ ولكن عندما علمت أنه مخصي ، انتحرت ؛ وهناك ارتدى كومبابوس ثياب المرأة ، بعد أن أيأسه الحب ، أن يلعب معه مثل هذه الأدوار الشريرة ، كي يتفادى أن تقع امرأة في الخطأ نفسه . وهذا هو السبب الذي من أجله يرتدي المخصيون من خدمة المعبد ثياب المرأة ؛ وان أتحدث بأكثر من ذلك عن كومبابوس ، أما بالنسبة لهؤلاء المخصيين من القسس ، فسأتكلم فيما بعد عنهم ، وسأتحدث عن الطريقة التي يخصون فيها ، وكيف يدفنون ، والاسباب التي من أجلها لايدخلون المعبد ؛ ولكن قبل ذلك أريد أن أتحدث عن وضع المعبد ، وعظمته ؛ وها أنا ذا أبدأ .

أرض المعبد ـ بواباته ـ الاعمدة فيه

٢٨ ـ الأرض التي بني عليها المعبد هضبة ؛ وهو قائم على وجه التقريب في وسط المدينة ومحاط بسورين ، أحدهما قديم ، والآخر لايرقى إلى أبعد من عصرنا ؛ وبوابات Propylées المعبد مائلة نحو الشمال ، وتمتد على ساحة تقرب من مئة براسة (١) ، في هذه الرقعة تقوم الأعمدة التي رفعها (ديونيسوس) ، وارتفاع العمود الواحد منها ثلاثون براسة ؛ ومرتين في العام ، يصعد رجل إلى قمة أحدها ، ويمكث هناك مدة أسبوع . هذا هو سبب هذا الاستعمال إن الشعب مقتنع أنه من هذا الموضع المرتفع ، يمكن للانسان أن يتحاور مع الآلهة ، ويرجوها أن تعقد بركاتها لكل سورية ، وأن الآلهة تسمع عن قرب صلواته أكثر ، وآخرون يظنون أنهم يفعلون ذلك كذكرى لديكاليون ، ولذلك الزمن الشقي الذي كان الناس يصعدون إلى المرتفعات ، والأشجار الباسقة خشية الطوفان ؛ بالنسبة إلي ، أجد هـذا التفسير غير مقارب للواقع ، وأعتقد أنهم يفعلون ذلك على شرف ديونيسوس ؛ وهذا ما أبني عليه فرضيتي ، أن من يقيمون الأعمدة يضعون عليها تماثيل خشبية ! لماذا ؟. لست أدري .. ولكني أعتقد أن هذا الرجل يصعد على العمود ليمثل ذلك التمثال الخشبي ..

كيفية صعود العمود

٢٩ ـ وصعود العمود يتم على الصورة التالية ؛ يمرر الصاعد حوله ، وحول العمود حبلة صغيرة ثم يرقى إلى الأعلى على قطع خشبية مثبتة على العمـود . تكفي فقط لموضع لرأس الأصابع ؛ وكلما صعد رفع الحبلة من كل من الطرفين ، كما ترفع الأعنة ؛ وإذا كان أحد لم ير ذلك قط ، وشاهد كيفية تسلق أشجار البلح ، سواء في البلاد العربية ، أو في مصر ، أو في أي مكان آخر ، فهم مقصودي من ذلك . وعندما يصل الصاعد إلى آخر مرحلة في صعوده يرمي بحبلة أخرى ، هي طويلة هذه المرة ، ويرفع إليه من الأرض بواسطتها مايريد : خشب ثياب ، أدوات ، يؤلف منها مقعداً شبيهاً بالعش ؛ وهناك يجلس ، ويمكث كما قلت سبعة أيام وكثير من الناس ممن يؤمون المعبد يحملون إليه الذهب ، والفضة ، وآخرون المعادن ، يضعونها أمامه على الأرض ، ويذهبون ، بعد ان يذكروا أسماءهم ؛ ويصرخ عابد آخر . يكون

---

(١) (البراسة متر و ٨٥ سم)

في أسفل العمود بأسمائهم له ؛ وعندما يسمعها العابد فوق ، يقوم بصلاة لكل واحد منهم ؛ ويضرب وهو قائم يصلي ، على أداة معدنية ، تحدث بفعل ضرباته صوتاً عالياً ، ومقرقعاً . انه لاينام أبداً ، وإذا أسلم نفسه للنوم ، فإن عقربة تصعد لتوقظه بلدغـة مؤلمة . وذلك عقاب النوم فوق . وان مايقال عن العقربة ينم عن أصل ديني ، مقدس ؛ ولكن هل هذا صحيح ؟ لست أدري !. على كل حال ، إني أعتقد ان الخوف من السقوط يسام أيضاً في أن يظل العابد صاحياً . وقد تكلمت كثيراً عن الذين يصعدون الأعمدة . أمـا المعبد فإنه ينظر إلى الشمس المشرقة .

شكل المعبد ، دهليزه ، رائحته

٣٠ ــ من حيث الشكل ، والطراز ، انه يشبه المعابد التي تبنى في (ايونيا) Ionie ان . القاعدة التي يرتكز إليها ترتفع عن الأرض مقدار براستين . ويصعد إلى المعبد بواسطة درج ضيق . وعندما نكون اجتزنا الدرج ، يهب الدهليز منظراً مدهشاً ، إن الأبواب التي تزينه كلهـا من ذهب ؛ وفي الداخل يتلألأ المعبـد بألف زينة ذهبية ، والسقف كله من ذهب ؛ ورائحة شراب الآلهة العنبري تتصاعدُ من البناء ، مثل التي تعطر ، كما يقال ، بلاد العرب ؛ وعندما يدخل المرء إلى المعبد . يحسُّ بالنسمة العذبة التي تخرج منه ؛ هـذه الرائحة لاتتركنا عندما نبتعد عنه ، بل تظل طويلاً في الثياب ، ويظل المرء يتذكرها دائماً .

تمثالان من ذهب ، أحدهما لهيرا ، والآخر لزيوس

٣١ ــ داخل المعبد ليس خاوياً ؛ لقد بنيت فيه غرفة يوصل إليها بواسطة درج صغير ؛ وليس للغرفة أبواب ، وواجهتها مفتوحة تماماً ؛ ويمكن لجميع النـاس أن يدخلوا المعبد ، إلا أن الكهنة ، وحدهم ، هم الذين يحق لهم دخول الغرفة ، وأيضاً ليسـوا جميعاً ، بل الذين هم أكثر صلةً بالآلهة ، والذين توكل اليهم ادارة الأعمـال الدينية . ويوجد في الغرفة تمثالان أحدهما لـ (هيرا) ، والآخر ربما هو في الحقيقة ، لـ (زيوس) ؛ إلا أن السوريين يسمونه باسم آخر . وكلا التمثالين من الذهب ، وكلاهما جالس . (هيرا) تجرها الأسود ، في حين يجر (زيوس) طاقم ثيران ؛ وحقاً كل شيء في هذا التمثال يذكر بزيوس ، رأسه ، ثيابه وعرشه ؛ والمرجو أن لا يؤخذ لغيره .

أوصاف تمثال هيرا

٣٢ ـ إلا ان تمثال (هيرا) عند ما يتأمله الإنسان ، يقدم اختلافات كبيرة في الملامح ؛ في المجموع هو حقاً هيرا ؛ إلا أن فيه ملامح من (أتينة) ، و (أفروديت)، و (سيلينة) ، و (رحيـا) ، و (أرتميس) ، و (نيميزيس) ، والتماثيل ذات الأردية المتموجة . . وهي تمسك بإحدى يديها صولجاناً ، وبالأخرى مغزلاً ، وحول رأسها أشعة ، وهالة ، وتتزنر بزنار ، هو زينة مخصصة فقط لأفروديت السماوية وحدها . يضاف الى ذلك أنها مكسوة بالذهب والحجارة الكريمة ، وبعض هذه الحجارة أبيض ، والبعض الآخر بلون الماء ، وكثير منهـا بلون الخمر ، أو لون النار ؛ وكثير منها هي كوارتس سردينيا ، وبواقيت ، وزمردات ، جلبها اليها المصريون ، والهنود ، والأحباش ، والميديون ، والأرمن ، والبـابليون . ولكن بين الأشياء التي لها ، الشيء الذى هو اكثر مثاراً للاعجاب ، ذلك الحجر الذي على رأسها ويسمى قنديل ، Lampe ؛ اسم يأتي من الأثر الذي يحدثه الحجر ؛ فهو يلقي في الليـل ، بإشعاع قوي ، بحيث يضاء المعبد ، الذي تهيمن عليه هيرا ، كله ، كأنما أضيء بالقناديل . ويبرق الحجر في النهـار ضعيف ، ولكنه يحتفظ مع ذلك بلونه الناري . ويهب التمثال أيضاً خصيصة مدهشة أخرى ، هي أنك إذا تأملته من وجهه ، فهو ينظر اليك ، واذا غـيرت مكانك ، ظلت عيناه تتبعانك ؛ وإذا نظر اليه رجل آخر ، من زاوية أخرى ، فعل معه مثل ذلك .

تمثال آخر من ذهب يسميه الآشوريون الصنم

٣٣ ـ وهناك ، بين التمثالين، تمثال آخر ، هو أيضاً من ذهب ، ولكنه لا يشبههما ؛ انه لا شكل خاص له ، وملامحه هي ملامح الآلهة الأخرى ، ويسميه الآشوريون (الصنم) la Statue ، دون أن يطلقوا عليه اسماً خاصاً ، ولا يذكرون شيئاً عن أصله ولا عما يمثل ؛ وينسبه بعضهم الى (ديونيـوس) ، وآخرون الى (ديكاليون) ، وآخرون الى (سميراميس) لأنه يحمل على رأسه حمامة من ذهب . ولذلك يزعمون أيضاً أنه يمثل سميراميس ، وهو ينزل الى البحر مرتين في العام ، ليجلب الماء الذي كنت تحدثت عنه .

عرش الشمس ـ التماثيل للآلهة غير المرئية

٣٤ ـ في المعبد ، والى اليسار ، ونحن داخلون ، نشاهد أول ما نشاهد عرش الشمس ؛

إلا أن صورة هذا الاله ليست فيه ؛ لأن الشمس والقمر هما وحدهما الالاهان الوحيدان اللذان لا يمثلان بواسطة الصور . لماذا يلجأون الى هذا الاستعمال ؟ هاكم السبب الذي قدموه لي ، يقولون انه مسموح ، من أجل الآلهة الأخرى أن تقام التماثيل ، لأن أشكالها غير مرئية من عيون الناس ، ولكن الشمس والقمر يظهران في ملء النور ، وجميع الناس تراهما ، وإذن لماذا التمثيل ، بواسطة النحت ، لكواكب تتقد في السماء ؟ .

تمثال لأبولون بذقن

٣٥ — نجد ، بعد هذا العرش ، تمثالاً لأبولون Apollon ؛ ولكنه لا يشبه التماثيل التي ترفع بالعادة له ، فان جميع الشعوب بالفعل تمثل (أبولون) على شكل شاب في زهرة العمر ؛ والسوريون وحدهم أعطوا تمثاله وجهاً بذقن ؛ وهم يمتدحون كثيراً طريقتهم تلك ، ويلومون الأغريق ، وجميع الذين يعتقدون أنهم يرضون أبولون بإعطائه ملامح الفتى المراهق ؛ انه في نظرهم عدم مقدرة ، وشعوذة أن تمثل الآلهة بملامح ناقصة ؛ لأن الشباب في رأيهم شيء ناقص ؛ ومفارقة أخرى تلاحظ في التمثال ، وهي ثيابه التي يتزين بهـا ، والتي لا يرى لها مثيل في الخارج .

معجزات أبولون — الهاتف

٣٦ — وعندي أحاديث كثيرة لأقولها عن المعجزات التي يقوم بها هذا التمثال ، وسأكتفي بما يستحق اكثر من غيره الإعجاب ، سأتكلم قبل كل شيء عن (الهاتف) Oearcl ؛ يوجد كثير من الهواتف عند الأغريق ، وكثير أيضاً عند المصريين ، ويوجد منها أيضاً في ليبيا ، وهي كثيرة في آسيا ؛ ولكن هذه الهواتف لاتسمع إلا من فم الكهنة ، أو الرسل والأنبياء ؛ في حين أن أبولون هيرابوليس يتحرك من نفسه ، ويتفوه هو نفسه الى آخر كلمة بجميع تنبؤاته . واليكم كيف يفعل ذلك . عند ما يريد أن يقدم الهواتف يبدأ بالتحرك على قاعدته ، وهناك يرفعه الكهنة ، وإلا ازداد هيـاجه في حركته ، وتندى عرقاً . وعند ما يكونون حملوه ورفعوه على الأكتاف ، يقودهم ، بتوجيههم كل وجهة ، قافزاً من كاهن الى آخر . وأخيراً يتقدم منه الكاهن الكبير ، ويقف أمامه ، ويسأله عن جميع المسائل التي يريد أن يقولها له . فاذا كان الاله لا يوافق على مشروع ما ، يتراجع الى الوراء ، واذا وافق دفع حامله للمشي الى الأمام ، كما لو كانت بيديه أعنة . وهكذا تجمع هواتفه ، ولا يقام

بأية مهمة مقدسة ، أو مدنسة إلا باستشارته ، انه يقوم بتنبؤات خاصة بالسنة ، وجميع فصولها ، حتى عند ما لا يسأل عنها ، وهو يحادث الصنم أيضاً ، ليحدد الوقت الذي عليه أن يسافر فيه الى البحر ، على نحو ما كنا أشرنا الى ذلك قبل .

معجزة أخرى — ارتفاعه في الجو وحده

٣٧ — وأريد أن أنقل أيضاً شيئاً آخر فعله في حضوري ، لقد أخذه الكهنة ، وحملوه ، ولكنه ، تركهم ، وارتفع وحده في الجو .

تماثيل لأطلس ، هرس ، وايلاتيه

٣٨ — هنالك ، بعد تمثال أبولون ، تمثال أطلس ، وبعده تمثال هرس وتمثال ايلاتيه ..

مذبح المعبد — التماثيل عند المذبح

٣٩ — تلك هي التماثيل في ترتيبها داخل المعبد . في الخارج ، هناك مذبح كبير من معدن ، حيث تنتصب مئات التماثيل المعدنية التي تمثل الملوك ، والكهنة . وأريد أن أذكر أهمها . على يسار المعبد يرى تمثال لـ (سميراميس) وهي تشير الى البناء عن يمينها ، وقد رفع هذا التمثال لسبب هو هذا : فقد استنت (سميراميس) قانوناً تجبر فيه جميع شعوب سورية على تقديسها ، وعبادتها كالآلهة ، وألا يحسبوا بعد حساب أية آلهة أخرى ، حتى ولا (هيرا) وقد أطاعوها في ذلك ؟ وانما سلطت الآلهة عليها الأمراض ، والنكبات ، والآلام ، فتراجعت عن هذا الجنون ، واعترفت بأنها مائتة ، وأمرت بقانون جديد ، أن توجه الدعوات ، والصلوات لـ (هيرا) . وهذا هو السبب الذي من اجله صورت على ذلك الشكل . انها تشير لزائري المعبد أن (هيرا) هي من يجب أن يعبدوا ، ويقدسوا ، معترفة أن الالاهة لم تعد هي ، ولكن هيرا .

تمثال للاسكندر ، وتماثيل لملوك وأبطال آخرين

٤٠ — وقد رأيت هناك أيضاً تماثيل لهيلين ، وهيكوب ، واندروماك ، وباريس ، وهيكتور ، وآشيل . ورأيت ايضاً تماثيل لنيروس ، ابن اجلاي ، وفيلوميل ، وبروكنه ، وهما ما تزالان انثيين ، وتيزه ، وهو ما يزال طيراً ، ثم تمثالاً آخر لسميراميس ، وتمثال

كومبابوس الذي تحدثت عنه ، وتمثالاً لستراتونيس جد جميل ، وآخر للاسكندر كبير الشبه بصاحبه ، ثم تمثال ساردينابال الذي يقوم إلى جـانبه ، ولكنه بشكل وثياب مختلفة عن ثيابه ، وشكله ..

الحيوانات المقدسة في باحة المعبد

٤١ — ونشاهد في باحة المعبد ، الأبقار السمينة ، والخيول ، والنسور ، والدببة ، والأسود ترعى بحرية . إنها لاتحدث أي أذى للناس ، إنها مقدسة ، ومروضة .

الكهنة وأعمالهم في المعبد

٤٢ — وقد كرس عدد كبير من الكهنة للمعبد ؛ بعضهم لذبح الذبائح ، والآخرون لجلب الشراب ؛ ويوجد آخرون يسمون بحملة النار ، وآخرون يسمون مساعدين ، وعند زيارتي ، كان أكثر من ثلاثمائة كاهن يشاركون في الذبائح وأعمالها ، وكلهم مرتدون الثياب البيض ، ويحملون على رؤوسهم قلنسوات من لباد ، ويتبدل الكاهن الأعظم عندهم كل عام ، وهو وحده يرتدي قفطاناً أحمر ، في حين يحيط بجبهته تاج ذهبي .

أشخاص مرتبطون بخدمة المعبد

٤٣ — وهنالك أيضاً مجموعة من الأشخـاص الآخرين ، مرتبطون بخدمة المعبد ، مثل الزمارين ، والعازفين على الناي ، أو مثل القسس المخصيين ، أو النسـاء المجنونات ، ذوات أفكار مختلة .

كيفية القربان لزيوس ، وهيرا

٤٤ — تقدم القرابين مرتين في النهار ، وجميع أعضاء المعبد تحضر الاحتفـال ، ويذبح لزيوس في سكوت ، بدون غناء ، ولا عزف نايات ، ولكن منذ أن يبدأ الاحتفال في التضحية لهيرا يشرع بالغناء ، والعزف على الناي ، والنقر بالصاجات Crotales ، ولم أستطع الحصول على أي معلومات واضحة من هذا الاستعمال .

السمك المقدس في بحيرة قريبة من المعبد

٤٥ — وفي البلد ، ليس بعيداً عن المعبد بحيرة يربون فيها عدداً كبيراً من السمك المقدس من أنواع مختلفة ، ويصبح بعضهـا كبيراً جداً ، ولها أسماء ، وتتقدم عندما ينادى عليها ،

وعند زيارتي كانت ثمت سمكة تحمل الذهب ، كان حلية وضعت في زعانفها ، وقد رأيتها أكثر من مرة بهذه الحلية الذهبية .

مذبح من مرمر وسط البحيرة

٤٦ — إن عمق البحيرة كبير جداً ، ولكني لم أسبره ، ويقولون أنه يبلغ أكثر من مئتي براسة وفي وسط البحيرة مذبح من مرمر . يظن للنظرة الأولى أنه يسبح ، يحمله الماء ، وكثيرون يظنون ذلك ، وأعتقد أن تحت هذا المذبح عموداً كبيراً يحمله ، أنه مكلل بأكاليل من الزهر ويحرق فيه البخور دون انقطاع . وعديدون الذين يجتازون البحيرة سباحة اليه يومياً ليقوموا هناك بالصلاة ، وتزيينه بالورود .

أعياد النزول إلى البحيرة

٤٧ — وتحتفل في (هيرابوليس) أيضاً بأعياد جد شعبية ، يسمونها النزول إلى البحيرة ، ذلك أن جميع التماثيل في هذه الأعياد تنزل إلى ضفة البحيرة ، ؛ تعود (هيرا) الأولى إليها بسبب الاسماك ، لتمنع (زيوس) أن يراها الأول ؛ وإذا حصل ذلك ، فيزعمون ان الأسماك ستموت كلها ؛ ويقيني أنه يقدم ليراها ، ولكن هيرا تتقدمه ، وتقف أمامه ، وتمنعه أيضاً من أن يراها ، ومن فرط التأكيد ترغمه على أن يعود في طريقه .

أعظم الاعياد هي أعياد النزول إلى البحر

٤٨ — الا أن أهم الاعياد التي تمجدها هذه الشعوب هي الاعياد التي يؤمون فيها البحر ، ولا يمكنني أن اذكر عن هذه الاعياد شيئاً يقينيا ، صادقا ؛ لأني لم أذهب قط إلى هناك ، ولم احاول الذهاب ؛ ولكني رأيتهم في عودتهم من هناك ، وأريد أن أدون ذلك ؛ كل يحمل عند عودته وعاء مليئاً بالماء ومختوماً بالشمع ؛ ولا يسمح بنزع الشمع عن الوعاء من أجل سكب الماء ؛ بل ثمت ديك مقدس يمكث قاطناً عند ضفة البحيرة ، ويتلقى الوعاءات ، ويفض ختمها ؛ والناس تدفع له أجرته على ذلك ؛ فيفك الرباط ، ويزيل الشمع ؛ انه يجمع من هذه العطايا عدد كبير من العملة ؛ ومن ثم يحمل كل واحد وعاءه ، ويتوجه نحو المعبد ، يسفح الماء ، ويضحي ، ويعود .

أعظم الأعياد أعياد تقام في بداية الربيع ، تسمى المحرقة ، أو القنديل

٤٩ – وبين جميع الأعياد التي عرفتها ، أعظمها التي تقام في بداية الربيع ؛ ويسمونها (المحترقة) Bûcher، أو أيضاً عند آخرين (القنديل)Lampe ؛ واليكم الاحتفالات التي تجري فيها تقطع أشجار كبيرة ، وتنصب في الباحة ؛ ثم يأتي بالماعز ، والخرفان ، وحيوانات أخرى حية ، فتعلق بالأشجار ؛ كما تعلق أيضاً ، على الأشجار عصافير وثياب ، وأدوات من ذهب ، وفضة ؛ وعند ما تكون الاستعدادات قد أتمت ، تتنزه التماثيل حول الاشجار ثم يرمى وسط الأشجار بمواد مشتعلة ،وآنئذ كل شيء يشتعل .هذا العيد يجذب عدداً كبيراً من الناس يقدمون من جميع سورية ، والبلاد المجاورة ، يأتي كل شعب بآلهته ، أو التماثيل التي سويت على شاكلتها .

صلوات صوفية في تمجيد الامرار الدينية

٥٠ – وفي أيام معلومة ، محددة ، يتجمع الشعب في المعبد .. عدد كبير من الكهنة ، والقسس ، والرجـــال المرتبطين بخدمة الآلهة التي كنت تحدثت عنهم ، يمجدون الأسرار ، ويتجارحون في الأذرع ، ويتناوبون الضرب على الأظهر في حين عدد كبير من الموسيقيين ، واقفين قربهم ، يعزفون لهم على النايات ، و كثيرون يضربون على الطبول ، وآخرون يغنون ويترغون بأناشيد ملهمة ، أو دينية ، إلا أن هذه الاحتفالات تجري خارج المعبد ، والقائمون عليها لايدخلون المعبد .

احتفالات الخصاء ، وطقوسها

٥١ – وأنه في هذه الأيام أيضاً ، مايخصى القسس المخصيون ، فعندمـا يعزف بالناي ، وتولم الولائم ، يسري الفزع إلى عدد ممن يسمون بالمساعدين ، وعدد كبير من الناس الحاضرين الذين جاؤوا لمشاهدة الاحتفالات ، فيستسلمون إلى الأعمال التي سأصفها الآن . إن الشاب الذي يقرر أن يكون قسيساً مخصياً ، يرمي أولاً بثيابه على الأرض ، ثم يتقدم وسط الجماعة باعثاً صراخات عالية ويمسك بموسى صغيرة ، من بين التي ، على ما أعتقد هي مخصصـة لهذا الغرض منذ سنوات بعيدة ، وبهذه الموسى الصغيرة يخصي نفسه ، ويركض إلى المدينة ، حاملاً بيديه ما كان اقتطعه من بدنه ؛ والمنزل ، كائناً ان كان ، الذي يرمي أمامه بما اقتطع ، عليه أن يوفر له ثوب امرأة ، وكل مايلزم لزينة النساء . كذلك هم يقومون بالخصاء ..

عدم دفن القسس المخصيين

٥٢ — ولا يدفن القسس المخصيون بعد موتهم ، مثل القسس الآخرين ، فانه عندما يموت مخصي ، يحمله اخوانه إلى ضاحية المدينة ، حيث يضعونه مع النعش الذي استعمل لحمله ، وهناك يرمون الحجارة فوقه ، ثم يرجعون ، وبعدها ينتظرون سبعة أيام قبل أن يدخلوا المعبد وإذا دخلوه ، قبل هذه المدة ، ارتكبوا إثماً .

قواعد بخصوص الموتى عامة

٥٣ — وهذه هي القواعد التي يتبعونها بخصوص الموتى ، إذا رأى أحد من القسس ميتاً لايدخل المعبد ذلك اليوم ، انه لايدخله ، إلا في اليوم التالي ، بعد أن يكون تطهر ؛ أما أهالي الميت أنفسهم ، فيمكنهم دخول المعبد بعد ثلاثين يوماً ، وبعد أن يكونوا حلقوا رؤوسهم ، وإذا لم يتقيدوا بهذه التعاليم ، فالديانة تمنعهم من ولوج المعبد .

أنواع الاضاحي — التحريم لبعض الاصناف

٥٤ — تضحى في المعبد الأبقار ، والثيران ، والماعز ، والخرفان ؛ الخنازير وحدها تعتبر دنسة ، انهم لايضحونها ، ولا يأكلونها إلا أن هناك أشخاصاً لاينظرون اليها كدنسة ، بل كمقدسة ؛ وبين جميع الطيور الحمامة هي في نظرهم الكائن الأكثر قدسية ، ومجرد لمسها ، يعتبر عندهم إثماً ؛ وإذا لمسوها دون ارادة ، فهم دنسون طوال النهار ؛ وهذا هو السبب الذي من أجله يعيش الحمام بينهم ، ويدخل بيوتهم ، ويأكل في أغلب الأحيان على أرضهم .

شعائر الحج الى المدينة المقدسة

٥٥ — وأريد أن أتحدث عن شعائر الحجاج الذين يفدون لحضور الاحتفالات الرسمية الكبرى ، انه عندما يأتي رجل لأول مرة ، الى المدينة المقدسة ، يحلق رأسه ، وحواجبه ، ثم يضحي ماعزاً ، يقطعها ويولم عليها . انه يمد صوفها المجذوذ على الأرض ، ويجلس على ركبتيه فوقه ،

ثم يضع على رأسه أرجل الحيوان ، ورأسه ، وآنئذ يؤدي صلاته ، ويطلب من الآلهة أن تتقبل الأضحية التي يهبها لهم ، ويعدهم بأضحية أخرى أعظم منها في المستقبل ، وعند انتهاء هذه الشعائر يضع اكليلا على رأسه ، وعلى رؤوس من يتبعه في سفرته ، ثم يترك منزله ، وفي الطريق لا يستعمل الا الماء البارد للاستحمام ، أو الشرب ، كما ينام طوال ليالي سفره على الأرض ، لأنه غير مسموح له أن ينام على سرير حتى ينهي حجته ، أو يرجع الى بيته .

مضافات خاصة تستقبل الحجاج على الطريق

٥٦ — وعند وصوله الى المدينة المقدسة ، يأوي الى مضيف لا يعرفه ، لأن في كل مدينة مضافات خاصة تستقبل الحجاج حسب بلادهم . ويسمي الآشوريون هؤلاء المضيفين المثقفين ، لأنهم يقدمون للحجاج جميع المعلومات المفيدة ، اللازمة .

الأضاحي لا تقدم في المعبد ، بل في البيت

٥٧ — هؤلاء الزوار لا يضحون في المعبد نفسه ، ولكنهم يرجعون الأضاحي معهم حية الى منزلهم ، بعد أن يعرضوها ، ويقدموها الى المذبح ، ويسفحوا الشراب ، وهناك عند وصولهم الى منازلهم ، يذبحونها ، ويؤدون الصلوات ، يوجهونها للآلهة .

طريقة أخرى للتضحية

٥٨ — هناك طريقة أخرى للتضحية هي هذه : بعد أن تتوج الأضاحي بالأكاليل ، يقذف بها من أعلى البوابات ، فتموت في سقوطها ، ويرمي ، بعض الناس أولادهم أيضاً من هذه الأمكنة ، ولكن ليس على طريقة الحيوانات ، لأنهم يضعونهم في صناديق ، ويدفعون بهم بأيديهم ، وهم يخفونهم قائلين انهم أبقار ، وليسوا أولاد .

الوشم عند الآشوريين

٥٩ — جميع الآشوريين ينقشون بطريقة الشكات Piqûres ، على معاصمهم ، أو في عنقهم ، وبالتالي ، أنهم جميعهم موشومون .

عادة أخرى ، قص شعور الشباب والشابات

٦٠ — ان لهم عادة أخرى ، لا يشاركهم فيها الا شعب واحد في بلاد الأغريق ، وهم سكان التريزين Trézene ، وأريد أن أتحدث عما يفعله هؤلاء الأخيرون . انهم استحدثوا قانونا يمنع الزواج على الشباب والشابات قبل أن يحلقوا شعورهم على شرف هيبوليت Hippolyte ، وهذا القانون متبع . وكذلك هي الحال في المدينة المقدسة . الشباب يضحون بيوا كير ذقونهم ، ويسمح للشابات أن تنمو شعورهن بعد أن تكون قدمت للآلهة عند الولادة ، وعندما يفد هؤلاء أو أولئك على المعبد يقصون شعورهم ، ويضعونها في وعاءات من فضة ، أو أيضاً من ذهب ؛ تحفظ في المعبد ، بعد أن ينقش عليهـــا كل انسان اسمه ، ثم ينسحبون ، وأنا نفسي قمت بذلك في شبابي . وان اسمي ، وشعري مايزالان في المعبد .

عبدالله بن ذريل